جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية كثيرة

بقلم
الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي

عني بطبعه ونشره
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
الشيخ إبراهيم عبد الله الأنصاري
رحمه الله

٢١
ع ج

جهالات خطيرة
في قضايا اعتقادية كثيرة

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري
الرقم العام : ١٩٥٧
رقم التصنيف : ٢١٤ ق ع ح

جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية كثيرة

بقلم
الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي

عني بطبعه ونشره
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

٢١٤
ق ع ح

طبع على نفقة
الشيخ إبراهيم عبد الله الأنصاري
رحمه الله

٦١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد، فإن الله عز وجل قد وعد عباده بوعودٍ كثيرة في الدنيا والآخرة، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ﴾ [الحج: ٣٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الاعراف: ٩٦] وقال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨]، وقال الرسول ﷺ: «قال الله تعالىٰ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، واقرؤوا

إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]

وإن المتدبر لحال المسلمين اليوم يجد أن هٰذه الوعود التي وعد الله بها عباده المؤمنين في الدنيا لا تتحقق، فالعزة، والغلبة، والتمكين في الأرض، لقوىٰ الكفر والضلال، والأمن والإستقرار والبركة في العيش قد فقدناه.

ولاشك أن سبب هٰذا يرجع إلينا لأن وعد الله حق: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]، لكن يجب أن نلاحظ أن الله تبارك وتعالىٰ وصف عباده الموعودين بأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً، فلا بد للجماعة المسلمة من عبادة الله وحده، وترك الكفر والشرك به تبارك وتعالىٰ. وأما العبادة اليوم فتُفهمُ عند بعض الناس بأنها تلفظٌ بالشهادتين ـ دون فهمٍ لمعناهما ومقتضياتهما ولوازمهما ـ والصلاة والصيام والزكاة والحج فقط.

وأما عزل الحكم عن ديننا وترك ما أنزل الله والحكم بأنظمة الأرض شرقاً وغرباً، أو بقوانين وتقاليد القبائل والعشائر وطلب الدعاء والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله والإستهزاء بالدين وسب الله والرسول ﷺ والإسلام والذهاب للكهنة فهذا لا يناقض العبادة في تصورهم، ومما يزيد الطين بِلّة أن بعض هٰذه الأمور تُفعل باسم الدين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولهذا ولكون الشرك محبطاً لعمل الإنسان لقوله تعالىٰ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولطلب من تَعَيَّنَتْ عليَّ الإستجابةُ لطلبه أن أكتب في بعض المسائل الاعتقادية التي ابْتُلِيَ بعض الناس بها نصحاً للأمة ولحبِّ الخير لهم لا حقداً عليهم ولا بغضاً لهم شرعتُ بالمقصود مع قلة بضاعتي مستمداً العون من الله العظيم وهو وحده المعبود.

---

(١) رواه البخاري.

وتوخيت سهولة الأسلوب لتقريب هٰذه المسائل لعامة الناس فيما أرجو، ولم ألجأ إلىٰ التفصيل في مسألةٍ ما إلا لظني أن الأمر يستدعي شيئاً من الإطالة أو لرد شبهةٍ علىٰ ما قررناه دون تقصي الأدلة [٢] وأقوال الأمة خشية الإطالة وحتى تُقرأ الرسالة علىٰ عجالة وسميتها: «جهالات خطيرة في قضايا إعتقادية كثيرة».

ولا يفوتني أن أشكر الأخ الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور محمد سليمان الأشقر علىٰ تفضله بقراءة هٰذه الرسالة وإبداء ملاحظاته القيمة فجزاه الله خيراً.

وإني لأرجو من الله الأعلىٰ أن أكون قد وُفِّقْتُ في رسالتي هٰذه وأسأله سبحانه أن يجعلها من أعمالي الخالصة لوجهه وأن ينفع بها وأن يغفر لي زلاتي وعثراتي إنه سميع مجيب.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتب ذلك:

عاصم بن عبدالله القريوتي

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

---

(٢) كما لم أتوسع في تخريج الأحاديث، فما كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت به، ولم اذكر إلا ما صح من حديث رسول الله ﷺ إلا ما بينته والله الموفق.

ترك الحكم بما أنزل الله

إن الله عز وجل خلق الخلق وتكفل لهم برزقهم، وبما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم، وما مات رسول الله ﷺ إلا بعد أن كَمُلَ هذا الدين: عبادةً ومعاملةً. قال تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ولأن الله عز وجل خالق الخلق، فهو بلا ريب الأعلم بمصالح الناس وبما يفيدهم وبما يؤمن لهم الحياة الطيبة والأمن الدائم والإستقرار، فشرع لهم أحكاماً تناسبهم هي الكفيلة وحدها بالإستقرار والأمن لهم لأنها جاءت من عند خالقهم العليم الخبير بأمورهم، البصير بما كان ويكون، فشرع الحدودَ والقصاصَ حياةً لنا كما قال تعالىٰ:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]

أمرنا الله عز وجل بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ:قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]

وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء ٦٥] وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] ولهذا فمن نبذ حكم الله أو حكم رسوله ﷺ إلىٰ حكمَ غيره من بشرٍ أو عادات أو أعرافٍ أو أسلافٍ أو تقاليدٍ أو عشائرٍ تخالف الشريعة الإسلامية أو قوانين وضعية شرقيةً كانت أم غربيةً معتقداً بها فقد عبد غير الله، قال الله عز وجل: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

والحكم إذا كان بغير كتاب الله وسنة ﷺ يُعَدُّ حكماً بالطاغوت كما قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

ولابد لك أخي المسلم من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل. والطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حَدَّهُ وعُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع.

وطاغوتُ كُلِّ قومٍ مَنْ يتحاكمون إليه ـ غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ أو يتبعونه علىٰ غير بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وأن حكم الله عز وجل هوالحكم الوحيد الذي يصلح لجميع الأمم علىٰ مر العصور بل هو الحكم الوحيد الذي يجب تطبيقه، ومن اعتقد أن حكم الله غير واجب التطبيق أو أن بعضه لا يصلح في هٰذا الزمان أو في زمن من الأزمان، أو أنه

مُخَيَّرٌ فيه، أو استهان به، أو اعتقد أن حكم غيره من قوانين وضعيةٍ أصلحُ لهذا الزمان أو أن الحكم ليس من صلاحية هذا الدين فقد وقع الكفر الصريح والخروج من الدين الحنيف لإخلاله بتوحيد العبودية الذي يستلزم التحاكم إلىٰ الله وحده وليس لغيره تبارك وتعالىٰ أي حق فيه، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]

فالواجب علىٰ المسلمين جميعا حكاماً ومحكومين أن يعودوا إلىٰ ربهم ويحكموا شريعته في جميع شؤون حياتهم(٣) ولا يعارضوها ويقابلوها بعاداتهم وتقاليدهم ولا بما ألفوه عن آبائهم وأجدادهم وإنما شأنهم التسليم المطلق والإنقياد التام لأوامر الله ورسوله ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

هذا إذا أردنا طاعة الله والحياة الطيبة والأمن والإستقرار في هذه الدار والحياة الخالدة في الدار الباقية دار القرار.

الإلحاد في أسماء الله عز وجل الحسنىٰ وصفاته العليا

إن طريق التلقي لعلم الإيمان بأسماء الله وصفاته هو من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وذلك لأن الله عز وجل أعلم بنفسه من عباده كما قال تعالىٰ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠] ولصدق رسوله ﷺ الذي لا

(٣) وأما إذا كان الأمر مسكوتاً عنه في شريعتنا ولم يُتَعَرَّضْ له بِحِلٍّ أو حُرْمَة فيجوز لولي أمر المسلمين أن يضع لذلك أحكاماً وترتيبات يلزم الناس بها لما فيه من المصالح العامة ومن أمثلة ذلك تنظيم مرور السيارات والسير علىٰ جهة معينة ونحو ذلك فهذا لا يعد من الشرك بالله عز وجل، ولأن الله قال ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ ولم يقل: «ومن حكم بغير ما أنزل الله» للفرق بينهما كما تقدم ولقد كثر من الكاتبين في هذا الموضوع تجاهل هذا التفريق مع أهميته ولهذا اقتضىٰ التنبيه، وهو مما أفاده الدكتور محمد سليمان الأشقر جزاه الله خيراً.

ينطق عن الهوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وقد نزه الله عز وجل نفسه عما وصفه به الجاهلون ثم عطف الله تبارك وتعالىٰ علىٰ ذلك بالسلام علىٰ المرسلين قال تعالىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات: ١٨٠، ١٨١] ولأن الكلام في هٰذا الباب من أمور الغيب[٤] وليس لنا غير هٰذا المنهج القويم الذي هو منهج الصحابة الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهو منهج تابعيهم رضي الله عنهم أجمعين وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٥].

وهٰذا فطريق السلف من صحابةٍ وتابعين ومن سار علىٰ طريقتهم إلىٰ يوم الدين هو الأعلم والأسلم والأحكم من أي منهج، ومن المحال أن يكون الخلف الذين تأثروا بالفلاسفة واليونان وغيرهم أعلم وأحكم من طريق صحابة رسول الله ﷺ. ولقد قال أحدُ مِنَ ابْتُلِيَ بمنهج الخلف ثم عافاه الله منه: «ولقد تأملتُ الطرقَ الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتُها تُشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريق القرآن».

منزلة علم الإيمان بالأسماء والصفات

إن فضل هٰذا العلم يتجلىٰ لنا في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن[٦]. . هٰذه السورة التي فيها إفراد الله بالعظمة والوحدانية والكمال

---

(٤) قد تُدرك بعض الصفات كالخلق والحكمة والوحدانية والقدرة بالنظر إلى المخلوقات وأما على الوجه الصحيح الأكمل فهذا لا سبيل إليه إلا عن طريق الوحي.

(٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد صرح الحافظ ابن حجر بتواتره في مقدمة الإصابة.

(٦) لقوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله احد﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن» رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو صحيح.

وأنه سبحانه وتعالىٰ السيد العظيم الذي تصمدُ إليه الخلائق كلها وتتجه إليه في جميع حاجاتها. . . هٰذه السورة المتضمنة لجميع أسماء الله وصفاته وتنزيه الله عن الولادة والنِّد والمثل والكفؤ. ووجه كونها تعدل ثلث القرآن: أن القرآن الكريم قد اشتمل علىٰ أمورٍ كثيرةٍ ترجع إلى ثلاثة علوم:

١ـ علوم الأحكام من عباداتٍ ومعاملاتٍ وما يتعلق بها.

٢ـ علوم الجزاء علىٰ الأعمال والأسباب التي يُجازىٰ بها العاملون علىٰ ما يستحقون من خيرٍ وشرٍ مع بيان الثواب والعقاب.

٣ـ علوم التوحيد لله رب العالمين وهو أشرف العلوم الثلاثة.

وسورة الإخلاص تحوي الإجمال لعلم التوحيد الذي يشكل ثلث ما يدور عليه القرآن الكريم. ولقد بَعَثَ رسولُ الله ﷺ رجلاً علىٰ سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ فقال: «أخبروه أن الله يُحِبُّهُ»[٧].

شبهة وجوابها

قد يقول بعض الناس إن هذا العلم ـ أي علم الأسماء والصفات ـ لا يُتحدَّثْ به خشيةَ الفتنة!!! ولَما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال «حَدِّثُوا الناسَ بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟ رواه البخاري، ولما ذُكر عن الإمام مالك رحمه الله أنه لا يرى التحدث بأحاديث الصفات والجواب عن هذه الشبهة ما يلي:

---

(٧) رواه مسلم في صحيحه.

١ـ إن كلام الله رب العالمين ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تَعَبَّدَنا اللَّهُ عز وجل بتلاوته والعمل به وبَيَّنَ لنا الرسول ﷺ أن لقارئه بكل حرفٍ منه عشر حسنات ـ وأحاديث الرسول ﷺ ـ في الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم وبقية دواوين السنة ـ مليئة بأسماء الله وصفاته، ومن المحال أن يتعبدنا الله عز وجل بما يدل أو يؤدي إلىٰ الفتنة، بل إن طريق المتأخرين ونهجهم هو الذي فيه الفتنة بإغراق الناس في قواعدَ منطقيةٍ وإلزاماتٍ فلسفيةٍ لا يدل عليها قرآن ولا سنة ولا قول صاحب.

٢ـ إن أثر علي ـ رضيَ الله عنه يُراد منه منع التحدث مع العامة بما يزيد في فتنتهم ويقوي بدعتهم إذا كان الكلام لا يبلغ عقولهم، وأما الكلام بآيات الأسماء والصفات من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ علىٰ نهج الصحابة والمتقدمين ـ والذي هو يقيناً فيه الهدىٰ والنور ـ فما كان ولن يكون فيه الفتنة أبداً لأنه بعيد عن التكلف والفرضيات لأن شأنهم رضي الله عنهم إثبات ما أثبت الله تعالىٰ لنفسه وما أثبت له رسوله ﷺ مع نفي المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد الأقوال في فهم أثر علي هذا: «ضابطُ ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند مَنْ يُخشىٰ عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم».

٣ـ وأما ما ذُكِرَ عن الإمام مالك إمام دار الهجرة من أنه لا يرىٰ التحدث بأحاديث الصفات للعامة فهو خشية الخوض في التشبيه كما ذكر ذلك ابن عبدالبر جاء عن الإمام مالك نفسه عندما سئل عن الاستواء قال: «الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»[٨].

***

(٨) رواه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية.

القواعد التي يدور عليها الإيمان بأسماء الله وصفاته

أولاً: إثباتُ ما أثبته الله عز وجل لنفسه وما أخبر عنه رسوله ﷺ من أسماءٍ وصفاتٍ إثباتاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالىٰ من غير تفريقٍ بين أسماءٍ وصفات أو بين صفاتٍ وصفاتٍ أخرىٰ إذ الجميعُ يُوصف به الله بما يليق بشأنه تبارك وتعالىٰ.

ثانياً: أن كثرة الخوض والتعمق في البحث والافتراضات في الأسماء والصفات ليس من منهج سلف أمة محمد ﷺ الذين شَهِدَ لهم الرسول ﷺ بالخيرية.

ثالثاً: نفي المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق ـ مهما كانت منزلة المخلوق عند الله رب العالمين ـ لقوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

رابعاً: أسماء الله وصفاته توقيفية، لا سبيل إليها إلا عن طريق الكتاب والسنة. وما توسع به مَنْ تَوَسَّعَ مِنَ المتأخرين في أسماء الله وصفاته من النفي والإثبات مما ليس عليه دليلٌ شرعيٌ منصوصٌ فهو مردود.

خامساً: عدم الإلحاد في أسماء الله وصفاته لقوله تعالىٰ:
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

معاني الإلحاد في الأسماء والصِّفات

أ ـ تغيير أسماء الله كما فعل المشركون، فإنهم أخذوا إسم اللاَّت من الله، والعُزَّىٰ من العزيز، ومَناة من المنَّان.

ب ـ تسمية الله سبحانه وتعالىٰ ووصفه بأسماءٍ وصفاتٍ باطلةٍ كما ادَّعت النصارى بأن له إبناً ـ تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ج ـ وصف الله عز وجل بما يتنزه ويتقدس عنه كقول اليهود: إن الله فقير، أو: إن الله بعد ما خلق السموات والأرض إستراح يوم السبت، أو كقول بعض جهال المسلمين: إن الله بذاته في كل مكان[٩].

---

(٩) الاعتقاد الصحيح الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل قد استوىٰ على العرش ـ الذي فوق سبع سموات ـ إستواءً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالىٰ، وأما إحاطته عز وجل فهي بكل شيء، وعلمه في كل مكان، وبهذا تواترت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأجمع عليها أهل العلم ودَلَّ علىٰ هذا العقل الصحيح بعض الأدلة العقلية والنقلية علىٰ علو الله عز وجل:

قال تعالىٰ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦]

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]

وقال تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]

وقال الرسول ﷺ للجارية حين امتحن إيمانها: «أين الله؟» فقالت: في السماء، ثم قال لها: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ، ثم قال لسيدها: «أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالىٰ، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» صحيح رواه أحمد والترمذي وغيرهما. وقد كان يشير رسول الله ﷺ في خطبته يوم عرفة إلىٰ السماء بإصبعه ويقول: «اللهم اشهد» رواه مسلم في صحيحه.

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: «كنا نقول والتابعون متوافرون: إن الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» رواه البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «القول في السُّنة التي أنا عليها ورأيتُ عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالىٰ علىٰ عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلىٰ السماء الدنيا كيف شاء» رواه شيخ الإسلام الهكاري وأبو محمد المقدسي كما في مختصر العلو.

وغير ذلك كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الثابتة والآثار الصحيحة عن الصحابة والتابعين، ولم يُنقل خلاف هذا الاعتقاد عمن شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية ـ أعني القرون الثلاثة المفضلة. ←

ومن الأدلة العقلية على عُلُوِّ الله تعالى على خلقه أن الله لما خلق الخلق فإما أن يكون خَلَقَهُمْ في ذاته أو يكون خلقهم خارجاً عن ذاته وباتفاق المسلمين وغيرهم أن الله لم يخلق الخلق في ذاته وإلا لزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ولا يقول بهذا مسلم، فلزم وتعين أن يكون قد خلق الله الخلق خارجاً عن ذاته ويلزم من هذا أن يكون منفصلاً لا متصلاً وهذا هو الذي يعبر عنه بعض السلف بالمباينة، فلزم بهذا ـ العلو ـ لأنه أشرف الجهات.

وأما قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد ٤] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣] وقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] فلا يَدُل أبداً على أن الله عز وجل في كل مكان بذاته لأن القائلين بهذا ينفون أن يكون في أماكن القاذورات وغيرها ولا يخالف في هذا أحد من أهل القبلة، فبطل الاستدلال بهذه الآيات على دعوى وجود الله بذاته في كل مكان. وقد قدمت بعض الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على علو الله على خلقه فتعين هذا لا غير.

وأما قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ فالمراد منه المعية بالعلم والإحاطة، لا المعية بالذات، كما ذكر ذلك أهل التفسير. وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧] فالمراد من المعية بإجماع السلف من صحابة وتابعين معية العلم لا معية الذات، ومما يدل على هذا المراد أن الله عز وجل قد قال في ختام الآية ﴿والله بما تعملون بصير﴾ وقال: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

ومن ناحية عقلية لغوية فإنك عندما تقول: «سرت والقمر» لا يلزم من هذا أن يسير القمر بجانبك على الأرض، فالقمر في السماء وأنت على الأرض وكما أنك إذا قلت أنا مع الحاكم الفلاني والحاكم في بلدٍ آخر وأنت في بلدك، فالمراد أنك معه في تأييدك ونصرك له ولا يلزم معيتك بذاتك معه من هذا القول، ولله المثل الأعلى..

والمراد من قوله تبارك وتعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾: أنه معبود في السماء والأرض، وقوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ أي: أن الله عز وجل يعلم السر في السموات والأرض ـ وهو تبارك وتعالى في السماء ـ كما ذكر ذلك أهل التفسير وأئمته، ولا يدل هذا على وجود الله بذاته في كل مكان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما قول الله عز وجل: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فقد ذكر بعض أهل العلم أن المراد منه: قبلة الله، والأولى أن المراد من هذا أن الله عز وجل محيط بخلقه فأينما يولي الانسان فإن الله ←

د ـ تعطيل صفات الله عن معانيها كقول من قال: إنها ألفاظ مجردة (إذ لازم هذا القول أنه لا فرق بين الغفور الرحيم وشديد العقاب) وكقول من قال عن يد الله: هي قدرته[١٠] ونحو هذا من صرف الكَلِم عن مواضعه.

← محيط به.

وراجع لبسط هذه الشبهات وغيرها والرد عليها مقدمة كتاب «مختصر العلو للعلي الغفار» للشيخ الألباني فإنه حقاً يروي الغليل ويشفي العليل وينير السبيل لكل منصف جعل الحق رائده ومنهجه وتجرد له، فعليك به أخي القارىء حفظك الله من الزلات والفتن إنه سميع مجيب.

(١٠) لقد ورد لفظ اليد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين في مواضع كثيرة وروداً متنوعاً مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية تليق بجلال الله وعظمته من الطي والقبض والبسط، وكَتَبَ التوراة بيده وأنه مسح ظهر آدم بيده وغير ذلك كثير. وقد قال تعالى: ﴿قال ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ [ص: ٧٥] فإذا حملنا اليد هنا على القدرة بطل إختصاص آدم عليه السلام، إذ جميع المخلوقات خلقها الله عز وجل بقدرته، وانظر لبسط هذا مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم فإنه نفيس يزيل كل تلبيس بإذن الله.

ثم إن تأويل «استواء الله على العرش» بالاستيلاء لم يُعهد قط عن الله ولا عن رسوله ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين، والذي ورد في تفسير الاستواء عن السلف أربعة تفسيرات وهي: صعد أو علا أو ارتفع أو استقر، ولا يجوز المصير إلى غيره. وأما تأويل الاستواء بالاستيلاء مستدلين بما قيل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

فيُجاب عن هذا بأن هذا البيت مصنوع مُخْتلق ليس من شعر العرب وقائله شاعر نصراني، ولا يُحتج به كما ذكر غير واحد من الأئمة. ثم إن وصف الله بالاستيلاء على العرش كاستيلاء بشر على العراق هو تشبيه للخالق بالمخلوق والله عز وجل ليس كمثله شيء وقد قال تعالى: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقال عز وجل ﴿هل تعلم له سمياً﴾ [مريم: ١٥] وإن قيل إن هذا إستيلاء يليق بجلاله تبارك وتعالى فنقول ليت شعري لِمَ عَدَلتُم عن كلام رب العالمين حيث مدح نفسه بأنه استوى على العرش ولم تثبتوا له استواءً يليق بجلاله فاخترتم «الاستيلاء» إعتمادا على ذلك البيت المصنوع وخلافاً لما عليه خير الناس من صحابة وتابعين رضي الله عنهم فوقعتم في التشبيه الذي فررتم منه؟!! ولقد ذكر ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة إثنين وأربعين وجهاً في بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء، فارجع إليه فإنه مفيدٌ جداً.

هـ ـ تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين كتشبيه إستواء الله على العرش باستيلاء المخلوق على الحكم ، إذ هذا فيه وصف الله بالنقص وتشبيهه بما لا يليق بشأنه تبارك وتعالىٰ.

فالواجب عليك أخي المسلم أن تؤمن بكل ما أخبر به ربك العليم بنفسه وبغيره وبكل ما صح عن رسول الله ﷺ من أسماءٍ وصفاتٍ إيماناً حقيقياً يليق بجلال الله وعظمته ـ ولا تفرقنَّ بين إسمٍ وإسم أو بين إسمٍ وصفةٍ أوبين صفةٍ وأخرىٰ، وأما الكيف فتفوضه إلىٰ الله إذ الكيف مجهول كما قال الإمام مالك وغيره.

والله الهادي لا مثيل ولا ند ولا كفؤ ولا مشابه له، وتعالىٰ عما عليه أهل الكفر والبدع والضلال.

تنبيه: يطلق بعض الناس القول بأن السلف كانوا يفوضون في الصفات وكان من مذهبهم الوقف في هذه المسألة: وإلىٰ هذا تنسب «الواقفة أو المفوضة» وهذا خطأٌ من وجه وصحيحٌ من وجه آخر. . . فإن كان المراد من هذا أن السلف يفوضون كيفية الصفة إلىٰ الله عز وجل مع إثباتهم الصفة علىٰ الحقيقة فصحيح ، وإن كان المراد أنهم لا يُثبتون المعنىٰ للصفة ويفوضون الأمر إلىٰ الله ويقرؤون آيات وأحاديث الصفات فقط، فهذا خطأ واتهام لسلف الأمة، بل وللقرآن الكريم إذ لازم هذا القول ـ كما أشرنا من قبل ـ أن لا يفرق المفوض بين معنىٰ السميع البصير والغفور الرحيم وشديد العقاب إلىٰ غير ذلك من الأسماء والصفات.

إعتقاد علم الغيب لغير الله عز وجل

إن الله سبحانه وتعالىٰ قد اختص نفسه بعلم الغيب، كما جاء في كثير من الآيات والأحاديث، ومن ذلك قوله تعالىٰ:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] وقال تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ . . . ﴾ [الجن ٢٦ ـ ٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ولهذا فادعاء علم الغيب لغير الله عز وجل يُعَدُّ منازعة لله في هذه الصفة وكفراً. ومن هذا القبيل الإعتقاد بأن رسول الله ﷺ يعلم الغيب، والله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]

وقد روىٰ البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يعلم ما في غد إلا الله سبحانه وتعالىٰ»[11].

أخي القارىء: لو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لما خَفِيَ عليه مكانُ

(١١) رواه البخاري في صحيحه.

راحلته كما حصل في غزوة تبوك حتىٰ أعلمه الله، ولما انتظ الوقت الطويل في أمر عائشة رضي الله عنها حين افتري عليها ـ كما جاء في قصة الإفك ـ حتىٰ نزلت براءتها من السماء كما جاء في الصحيحين.

وأما إخبار الرسول ﷺ ببعض الغيبيات كأحاديث الفتن وأحاديث التبشير بعز الإسلام وانتشاره في جميع أنحاء الأرض حين قال: «إن الله زوىٰ [أي جمع وضم] لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها»[12]. فهذا من قبيل إطلاع الله عز وجل له كما في الآية الآنفة الذكر ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨] . . . إلخ وليس من قبيل علمه الذاتي.

وأما دعوىٰ علم رسول الله ﷺ بما في هذا الكون وحركاته، فلا سند لها من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، وما لم يستند إليهما من أمور العبادة فباطل . . ومن هنا نعلم خطأ ما يُقال من بعض العامة عن الأمور المعتادة: «الله ورسوله أعلم» إذ أن هذا اعتقاد غير صحيح لأن الله عز وجل هو وحده الذي يختص بعلم الغيب، والعبارات التي صدرت عن بعض الصحابة في هذا إنما قيلت في حياته ﷺ وفي أمور الدين فقط.

الذهاب للكهنة والمنجمين والعرافين كفر بالله رب العالمين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من أتىٰ عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»[13]

---

(١٢) رواه مسلم في صحيحه، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة م١ ص٧.

(١٣) حديث صحيح رواه الحاكم وغيره.

وعن بعض أزواج النبي ﷺ، أنه قال: «من أتىٰ عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»[١٤]

والعراف «إسم للكاهن والمنجم والرَّمَّال والفتَّاح وأضرابهم ممن يدعون علم ما وقع وما لم يقع».

أخي المسلم: إن الله عز وجل لم يقبل صلاة أربعين يوماً لمن يسأل العراف أو الكاهن، وحَكَم رسول الله ﷺ بكفر من يسأله ويصدقه، فما بالك بالعراف نفسه فكيف يكون الحكم؟ وذلك لأن علم الغيب مما استأثر الله به كما تقدم. ومن عجائب الأمور أن يدعي بعض مَنْ لا علم عنده أن لهؤلاء الناس الذين يُخبرون عن بعض الأمور المغيبة كرامات وهذه منها !!! ونحن ولله الحمد نُثبت الكرامات ـ كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ ولكن أصحاب الكرامة الرحمانية متقون لله عز وجل ملتزمون بما أمر الله، ولا يتحدثون عن أنفسهم وكراماتهم لقوله تعالىٰ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] والكرامة يجريها الله علىٰ يد عبده المتقي الولي بدعائه أو بعمله الصالح ولا صنع للولي فيها ولا قدرة، بخلاف أدعياء الولاية في زماننا هذا. والذي يدعي علم الغيب لنفسه أو لغيره أو بسماعه أنه يعلم الغيب أو مجيء الناس إليه لهذا الغرض ويقرهم علىٰ ذلك علماً وقصداً يُعَدُّ كفراً مُخرجاً من الملة، فكيف بالكذب علىٰ الله رب العالمين وعلىٰ أمة سيد المرسلين أَوْ أَنْ يدعي أَنَّ هذا من أولياءالرحمن الرحيم؟!! تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً.

شبهة وجوابها

يقول بعض الناس: إننا جربنا سؤال هؤلاء العرافين فوجدناهم يصدقون في حديثهم عن الأمور الغائبة والضالة !! والجواب: أننا لا نرىٰ أمراً فوق ما أخبرنا عنه الله عز وجل ورسوله ﷺ. ولو كان علم الغيب يليق

(١٤) رواه مسلم.

بأحدٍ دون الله لكان أولىٰ الناس به رسول الله ﷺ. وقد سبقت الأدلة علىٰ أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب. وقد جاء في «البحر الرائق» لابن نجيم أنه لو قال أتزوج بشهادة الله ورسوله فنكاحه باطل ويكفر لإشراكه الرسول ﷺ مع الله سبحانه وتعالىٰ في علم الغيب كما نص علىٰ ذلك كثيرٌ من العلماء. ولقد سُئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا: يارسول الله، إنهم يُحَدِّثون بالشيء يكون حقاً. فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يَخْطِفُها الجنيُّ فَيُقرقِرُها في أذن وليه كقرقرةِ الدَّجاج فيخلط معها أكثر من مائة كذبة»[١٥].

والكهنة والعرافون يتعاملون مع الشياطين يقيناً فيما يخبرون به عن الأمور المفقودة أو المستقبلة، بل لا يساعد الشيطان قرينه الآدمي إلا إذا أصبح ولياً له وقد قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] فقد سَمَّىٰ الله عز وجل الكاهن أفَّاكاً أثيماً وذلك مبالغة في وصفه بالكذب والفجور. قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١]

فحذار أيها المسلم حذار من ذهابك أو ذهاب زوجتك أو ولدك أو بعض أهلك للكهنة وسؤالهم إياهم، فإن في هذا صَدٌّ عن الدين وخروجٌ من الملة المحمدية. وإن ابتلاك الله بفقد مالك أو عزيزٍ عليك فاصبر وقل: إنا للّه وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلُف لي خيراً منها.. ولا شك بأن الله عز وجل سيبدلك خيراً مما أصبت به[١٦] إن توكلت علىٰ ربك تمام التوكل.

واعلم أن مشركي قريش كانوا في الشدائد يتقربون إلىٰ الله عز وجل

---

(١٥) رواه مسلم.

(١٦) يدل علىٰ هذا قوله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ﴿إنا للّه وإنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها» رواه مسلم وغيره.

ويخلصون لله في الدعاء مع شركهم في الرخاء كما قال تعالىٰ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. ولكن للأسف نجد أن كثيراً ممن يدعي الاسلام اليوم، يتركون ربهم في الشدائد ويلجؤون إلىٰ الكهنة والعرافين والفتاحين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها.

الدعاء والاستغاثة بغير الله

إن الله عز وجل خالق الخلق ورازقه وهو السميع البصير وهو الذي لو سأله الناس كلهم بلغاتهم المختلفة في أي حين لسمعهم تبارك وتعالىٰ ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧] وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] وقال عليه الصلاة والسلام: «الدعاء هو العبادة»(١٧) وقال عليه الصلاة والسلام لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك»(١٨). فثبت مما مضىٰ أن الدعاء عبادة، وأن الإنسان إذا دعا لابد له من دعاء الله وحده، ولا يجوز له دعاء غيره من خلقه، فلذا لابد لك أخي المسلم من أن تُذِلَّ نفسك لله وأن تخافه وترهبه وتطمع بما عنده، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ ﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّىَّ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّىَّ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾

---

(١٧) حديث صحيح رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم، أما الحديث المشهور «الدعاء مخ العبادة» فإسناده ضعيف.

(١٨) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

[النحل: ٥٠] وقال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وهكذا شأن المؤمنين يعبدون الله حباً لذاته وخوفاً من ناره وطمعاً بجنته ورغبة في مغفرته.

وكل من دعا أو استغاث بغير الله كأن دعا أو استغاث بملَكٍ من الملائكة أو بنبي أو بولي أو بجني من الشياطين أو بأي إنسان حياً كان أم ميتاً فقد وقع في الشرك الأكبر. وإنْ لم يكن الشرك في الدعاء شركاً فليس على وجه الأرض كفرٌ وشرك، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤][19].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥] فالمراد منه الاستغاثة بالحي بالأسباب الظاهرة المعتادة من الأمور الحسية كمناداة المسلمين لإدراك العدو، أو لإطفاء حريق، أو يا فلان ناولني كذا وما شاكل ذلك، وأما الاستغاثة بالحي أو الميت في الأمور المعنوية كخوف فقرٍ، أو طلب رزقٍ، أو شفاء مريضٍ، أو دفع شيءٍ من الضر، فهو شركٌ بالله عز وجل.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧] وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥] وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ

---

(١٩) والقطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمرة.

ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] وقال عليه الصلاة والسلام حين أنزل عليه قولُه تعالىٰ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾: [الشعراء: ٢١٤] «يا معشر قريش! إشتروا أنفسكم من الله لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب! لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب، لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله! لا أُغني عنك من الله شيئاً. يافاطمة بنت رسول الله! سليني بما شئت لا أُغني عنك من الله شيئاً»(٢٠).

شبهة وجوابها

قد يقول قائل: إننا إذا قلنا يارسول الله أدركنا، أو أغِثنا، أو أشفِ مريضنا أو أسقنا أو إذا قلنا ياشعيب، أو يا فاطمة، أو يا بدوي، أو يا عبدالقادر الجيلاني، أو يا زينب، إنما نريد بهذا التقرب إلىٰ الله بمن يحبهم من رسله وأوليائه لضعف إيماننا وكثرة معاصينا كما أن الإنسان إذا أراد أمراً من حاكمٍ تقرب إليه بواسطة من يحترمه ويقدِّره ومن له جاه عنده!

والجواب: لا يجوز لنا أن نتقرب إلىٰ الله إلا بما شرع لنا لقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الشورى: ٢١] ولم يشرع الله لنا أبداً مناداة غير الله والاستغاثة بهم، بل صَرَّحَ القرآن الكريم بأن ذلك كفر وشرك بالله رب العالمين، ولقد تقرَّبَ كفار قريش إلىٰ ربهم بواسطة مَنْ عبدوهم بحجة الشفاعة ولصلاحهم فأخذوا يدعونهم فأنكر الله تعالىٰ ذلك عليهم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] وقال

---

(٢٠) رواه مسلم.

تعالىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الأسماء أسماء لرجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ من بعدهم فوضعوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبِدَت[٢١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنسيةً بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة وذكرا من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[٢٢].

أخي القارىء: إتضح لك مما سبق ـ هداني الله وإياك لمعرفة الحق ـ كيف كان كُفْرُ أولئك المشركين بربهم وما هي حجتهم الداحضة!! وهي نفسها التي يحتج بها بعض جهلة المسلمين، ولا يغيبنَّ عن ذهنك أيها القارىء أن أولئك المشركين كانوا يؤمنون بوجود الله تعالىٰ وأنه الخالق والرازق والمحيي والمميت والمدبر وغير ذلك من لوازم الربوبية ولكنهم مع هذا كفروا لما صرفوا شيئاً من العبادة لغيره تبارك وتعالىٰ قال عز وجل: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢١].

---

(٢١) رواه البخاري.

(٢٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فأما كون الإنسان خطاءً وفيه من المعاصي ما فيه ولهذا يتقرب إلىٰ الله بمن يحب من أنبيائه وأوليائه فهذا لا يختلف عن دعوىٰ أولئك المشركين كما تقدم ، وقد جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم»[٢٣] واعلم أخي القارىء أن المخلوق مهما كانت منزلته ولو كان ملكاً أو نبياً أو رسولاً فلا يجوز لك أبداً أن تقيس الله عز وجل عليه ولأن المخلوق محتاجٌ إلىٰ الله الخالق، والله وحده هو الغني الذي لا يحتاج إلىٰ واسطة، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٣ ـ ٧٤]، وأما تسمية مناداة غير الله والاستغاثة بغيره «توسلاً» فلا تجعله جائزاً ، لأن هذا توسلٌ مردودٌ إذ لا يَعْدُو هذا عن حجة أولئك المشركين بشيء.

والاستدلال بقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة : ٣٥] وبقوله تعالىٰ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧] علىٰ إباحة الاستغاثة بغير الله فهو تحريفٌ لكلام الله عن موضعه إذ الوسيلة التي أمر الله بها هي طلب القربة إلىٰ اللّه بالعمل بما يرضيه وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين.

واعلم أيها القارىء ـ وفقني الله وإياك لكل خير ـ أن التوسل الصحيح إلىٰ الله تعالىٰ والذي دل عليه الكتاب الكريم وصحيح سنة سيد المرسلين ﷺ ولا خلاف فيه يتلخص في ثلاثة أنواع :

---

(٢٣) رواه مسلم.

النوع الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته: قال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وجاء عن الرسول ﷺ أنه سمع رجلاً في تشهده يقول: «اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم» فقال له ﷺ: «قد غَفر له، قد غفر له»[٢٤].

ومن صور هذا النوع أن تسأل ربك بعلمه الغيب، وبقدرته علىٰ الخلق، وبإحيائه الموتىٰ، وبأنه الرازق السميع البصير ذو العظمة والجلال والإكرام وبحبه للنبي ﷺ وبعزته وغير ذلك من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

النوع الثاني: توسل المسلم بعمله الصالح الذي لم يخالطه رياء.

ودليله ما جاء في الحديث الشهير بـ «حديث الغار»، والذي فيه أن ثلاثةً دخلوا غاراً فأطبق عليهم الغار بصخرةٍ، فتذكر كل منهم عملاً صالحاً عَمِلَهُ لوجه الله وسأل ربه بهذا العمل أن يفرج عنهم حتىٰ فُرِّج عنهم وخرجوا من الغار يمشون[٢٥].

لذا يستحب لك أخي الداعي أن تسأل ربك عز وجل بعملٍ صالح فعلته ابتغاء وجهه، ومن صور ذلك أن تقول: اللهم إني أسألك بحبي لرسولك وصلاتي عليه واتباعي لسنته ﷺ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

النوع الثالث: طلب الدعاء ممن يُرىٰ فيه التقوىٰ والصلاح والله يقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(٢٤) حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي وغيرهما.

(٢٥) رواه البخاري ومسلم.

وقد جاء في الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «دعوة المؤمن المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة وله ملك موكل، كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل: آمين ولك بمثل»[٢٦]. وأما ما عدا ما تقدم من التوسل فهو من التوسل المحدث المبتدع لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[٢٧] ولهذا فالتوسل بذوات الأنبياء والأولياء أو بجاههم أو بكراماتهم مما يجب الابتعاد عنه وإن اختلف العلماء في جوازه وبدعيته[٢٨]. وأما إذا وقع التوسل بمخلوقٍ أو بجاهه مهما كانت منزلته مع اعتقاد أن له شيئاً في جلب نفعٍ أو دفع ضرٍ فهذا شركٌ أكبر مخرج من الملة كما مضى بيانه ولا خلاف فيه. وعلى أي حال فالأحوط لك أيها المسلم أن تفعل ما أمرك الله به من التوسل بأسماء الله وصفاته وما اتفقت عليه كلمة الأمة كما مضى وتقتصر عليه خوفاً على دينك لأن الإنسان المريض في بدنه إذا علم أن دواءً يضره بناءً على نصيحة بعض الأطباء، والبعض الآخر ينصح باستعماله فلاشك بأن العاقل سيدع ما اختلفوا فيه وسيتناول الدواء الذي اتفق الأطباء عليه حرصاً على سلامة بدنه.

ودينك يا أخي أغلى عليك من بدنك ونفسك ومن كل ما تملك فعليك بما أمر الله به وما حث عليه الرسول ﷺ تكن من الفالحين. ولا يغيب عن ذهنك أخي القارىء أنه هناك أدلة صحيحة يستدل بها المجوزون للتوسل بالأنبياء وبجاههم ولكنها غير صحيحة في الدلالة، وهنالك أدلة أخرى صريحة في الدلالة لكنها لا تصح فهي ضعيفة أو موضوعة، والله الهادي للصواب.

---

(٢٦) رواه مسلم.

(٢٧) رواه الشيخان.

(٢٨) يعني أن المختلف فيه هو التوسل بجاه النبي والصالحين كأن يقول: اللهم بجاه النبي ارحمنا واغفر لنا... الخ» فهذا النوع مختلف فيه، فأجازه طائفة من العلماء ومنعته اخرى، والصواب المنع. ويراجع لذلك رسالة «التوسل أنواعه وأحكامه».

تهمة وجوابها

يتسرع بعض الناس فينسب إلىٰ الذين يدعون إلىٰ عبادة الله وحده وترك الشرك به وترك الاستغاثة بغيره من الأنبياء والصالحين[٢٩] أنهم لا يحبون الرسل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ ولا يحبون الصالحين!!

والجواب: إن محبة الله ورسوله واجبةٌ علىٰ كل مسلم بل لاحظَّ في الإيمان لأحدٍ إن لم يحب اللّهَ ورسوله محبةً تفوقُ محبته لنفسه وأهله وولده وماله والناس أجمعين ولكن يجب أن تعلم أن حقيقة المحبة تتمثل في طاعة من تُحِب. والله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وإن محبة الصالحين واجبة ومن لم يحبهم فليس منهم، ولكن إنما يُعطىٰ كل إنسان قدره والله وحده المتفرد بالدعاء والاستغاثة وهو وحده المتصرف في هذا الكون[٣٠] ومن اعتقد غير ذلك في هذا الباب فليراجع نفسه ونسأل الله لنا وله السلامة. وأنت ياأخي إذا كنت تريد شفاعة رسول الله ﷺ فاتبعه واسأل ربك أن يشفعه فيك تكن من الفائزين برحمة رب العالمين وشفاعة سيد المرسلين محمد ﷺ.

---

(٢٩) إعلم أنه لا يجوز لنا الحكم بالتقوىٰ والصلاح والإخلاص والولاية إلا لمن شهد له الوحي بذلك ومن بَشَّرَهُمْ الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة، وغاية ما نقول في مدح ما لم يمدحه الله عز وجل نحسب فلاناً كذا وكذا ولا نزكي علىٰ الله أحداً.

(٣٠) ومن الاعتقادات الشركية أن يُعتقد أن بعض الأنبياء أو الرسل أو غيرهم له تصرفٌ في هذا الكون في حياته ـ غير ما مَلَّكَهُ الله به بإذنه تعالىٰ ـ أو أن له بعد موته أدنىٰ تصرف في دفع شيء من الضر أو جلب النفع، أَوْلَهُ التأثير المادي علىٰ الزائر وعلىٰ المسلِّم عليه أو أنه يملك الفيض الروحاني كما يتوهم بعض الناس مما زينه إبليس لهم ولبَّسه عليهم، وقد قال تعالىٰ لِنَبِيِّه محمد ﷺ وهو حي: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ [الأعراف: ١٨٨] ومن هنا تعلم ما في قول مَنْ يقول «عبد القادر الجيلاني المتصرف بالأكوان» من الإنحراف عن العقيدة الصحيحة، وإلى الله المشتكىٰ من حالنا ولا رب معبود سواه.

الذبح والنذر لغير الله

إعلم رحمني الله وإياك أن النذر عبادة من العبادات، وقربة من القربات، لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٢]، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«يأمره تعالىٰ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه علىٰ اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿فصل لربك وانحر﴾، أي أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمر الله بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ وحده لا شريك له».

وقد ورد فيما صح عن رسول الله ﷺ قوله: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوىٰ محدثاً، ولعن الله مَنْ غَيَّرَ منار الأرض»(٣١).

وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانةَ فسأل النبي ﷺ فقال:

«هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية عبد؟» قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله تعالىٰ ولا فيما لا يملك ابن آدم»(٣٢).

---

(٣١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.
(٣٢) حديث صحيح رواه أبو داود.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٧٠] وقال تعالىٰ: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩].

ففي الآيات الآنفة الذكر والأحاديث الماضية دليل علىٰ أن الذبح والنذر عبادة لله، وصرف الذبح أو النذر لغير الله يُعَدُّ إخلالاً في عبادة الإنسان لخالقه. وكل قربة لغير الله بذبح أو نذر لجن أو لرسول أو لنبي أو لقبر أو لولي أو لمشهد أو لشجرة وكذا تقديم الشموع والسرج لبعض القبور فهي فعل باطل واعتقاد فاسد يفسد توحيد الإنسان.

فلا بد لك أخي المسلم من إخلاص العبادة والذبح لربك وأن لا تشوبه شائبة وقد قال الشيخ قاسم الحنفي في «شرح درر البحار»: «النذر الذي ينذره أكثر العوام علىٰ ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أوله حاجة ضرورية فيأتي إلىٰ بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول: ياسيدي فلان، إن رد الله عَلَيَّ غائبي أو عوفي مريضي أو قُضِيَتْ حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء ومن الشمع والزيت كذا. فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوهٍ منها:

(١) أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق.
(٢) أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً.
(٣) أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر..

إلىٰ أن قال: إذا علمتَ هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها ويُنقل إلىٰ ضرائح الأولياء تقرباً إليها فحرام بإجماع المسلمين.

ولذا: إذا نذر إنسان لغير الله فلا يحل له الوفاء بنذره لقوله ﷺ:

«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[٣٣]، وإن مما يدخل في هذا الباب تقريب القربات لغير الله كتقديم الأكل والشرب لبعض الأشجار والقبور أو اللحم للجن أو تقديم مولود من الحيوانات لغير الله أو لحماية البيت ولدفع البلاء عنه أو عن السيارة[٣٤] وتلطيخها بالدم، وكذا الذبح على سقف البيت وعتبة الباب ورمي السن للشمس لتمنح صاحبه سناً كسن الغزال!! أو وضع العروس يوم الزواج للعجين على الباب والله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

السحر والخداع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ

---

(٣٣) رواه البخاري وغيره.

(٣٤) إن ما اشتهر لدى كثير من الناس الذبحُ على مقدمة السيارة الجديدة وتلطيخها بالدم وكذلك عند شراء بيت أو سكناه والذبح على السقف أو على عتبة الباب إنما هو من أعمال الجاهلية، وكانوا يقصدون بها الذبح للجن خوفاً من أن يصيبهم، ولا شك أن هذه الأفعال هي مما أُهِلَّ به لغير الله فهي شرك والذبيحة نجسة لا يحل أكلها، وإن زعم بعض الناس أن الذبح ليس للجن الآن فنقول له: الأصل في هذا ما ذكرنا وتوارث أهل الجهل لهذا الأمر، ودليل صحته أنهم يلطخون الحاجة بالدم فلأي شيء هذا التلطيخ !؟ ولقد قال كثيرٌ من أهل العلم بإبطال هذه الأعمال ونحوها ونكتفي من ذلك ببعض الأقوال. قال الزمخشري: «كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أن تصيبهم الجن فأضيفت إليهم الذبائح لذلك» وذكر إبراهيم المروزي: أن ما ذُبح عند إستقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بُخارى بتحريمه لأنه مما أُهل به لغير الله. وانظر فتح المجيد (ص١٥٢) فإنه مهم جداً.

مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢ - ١٠٣]

إعلم وفقك الله لطاعته أن مذهب أهل السنة والجماعة : أن السحر حقيقة بإذن الله لِذِكْرِهِ في كتاب الله ، ولِذِكْرِ الله أنه مما يكفر به وأنه يفرق به بين المرء وزوجه ، وأمر الله بالاستعاذة منه كما قال تعالىٰ : ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد﴾ والنفاثات في العقد : السواحر اللواتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ، وهذا لا يمكن إلا بما هو حقيقة ، ولقد سَحَرَ النبيَ ﷺ لبيدُ بن الأعصم اليهودي ، وكان يُخَيَّلُ لرسول الله ﷺ أنه يفعل الشيء وما فعله [٣٥] ، ومما يجب أن نلاحظه أن سِحْرَ الرسول ﷺ لا يحط من شأن الرسالة ومن عصمة الرسول ﷺ ، قال الإمام النووي :

«لأن الدلائل القطعية قد قامت علىٰ صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ ، والمعجزة شاهدة لذلك ، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل ، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يُبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له ، وقيل إنه كان يتخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطىء ، وقد يخيل الإنسان مثل هذا في المنام ، فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له»

---

(٣٥) رواه البخاري ومسلم . وانظر النووي علىٰ مسلم (١٤ : ١٧٤ - ١٧٥)

وأما التعامل بالسحر وتعاطيه فهو كفر[٣٦] بل ولا يمكن أن يتأتى السحر إلا بعد الكفر بالله عز وجل وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩]. وقد كذب بعضهم علىٰ رسول الله ﷺ فادعىٰ أنه قال: «تعلموا السحر ولا تعملوا به». فالسحر كفر، وتعلمه حرام بأي حال.

وإن ما يقع من السحرة من التفريق بين الزوج وزوجته أو قلب أشياء إلىٰ صور أخرى في نظر البشر فهو واقع بإذن الله، والسحر ليس مؤثراً بذاته نفعاً أو ضراً وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره، لأن الخالق للخير والشر هو الله وحده والسحر من الشر، ولكن هذه الأمور جعلها الله ابتلاءً وامتحاناً لعباده كما سبق من قوله تعالىٰ: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾، وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله: «إجتنبوا السبع الموبقات» فقالوا: يارسول الله ما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات»[٣٧]. وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تُكهن له أو تسحر أو تُسحر له»[٣٨].

وأما حكم الإسلام في الساحر فقد ورد فيما كتب عمر رضي اللّه عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. رواه البخاري. وقال ابن كثير رحمه اللّه: «وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحرٌ يلعب بين يديه، وكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان اللّه يحيي الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملاً علىٰ سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق

---

(٣٦) قال الشيخ محمد سليمان الأشقر «إن كان فيه تقربٌ للشياطين ودعاء وسجود فهو كفر، وما كان منه بطريقة خفة اليد ومجرد المخادعة فهو معصيةٌ وليس بكفر».

(٣٧) متفق عليه.

(٣٨) حديث صحيح رواه الطبراني والبزار وغيرهما.

الساحر، وقال: إن كان صادقاً فليحيي نفسه، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، ثم أطلقه، والله أعلم.»

وحَلُّ السحر وفكه لا يجوز أبداً بسحرٍ مثله وإنما بالرقىٰ القرآنية والمعوذات وما جاء عن الرسول ﷺ.

ومن السحر في عصرنا الحاضر ما يقوم به بعض من ينتسب إلىٰ الإسلام ممن يضربون أجسادهم بالخناجر والسيوف والزجاج و«الشيش» ويزعمون أنه لا يؤثر فيهم، وكل هذا باسم الإسلام، وباسم الكرامة والولاية!! ويكفي في رد هذا الزعم أن الولاية الحقيقية لا يتحدث بها صاحبها ولا يظهرها لأن في هذا تزكية للنفس والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] وكذلك فإن الأمور الخارقة للعادة لا تدل دائما علىٰ الصلاح بل قد يحصل للفجرة الكفرة شيء من هذا بأعمال ورياضات كما يفعل كفار الهند وغيرهم، ولو كان ما يفعل أدعياء الولايات بأنفسهم من الرحمن فأين هم عن مقابلة الكفار والدفاع عن أعراض المسلمين وحرماتهم المنتهكة في كثير من البقاع؟ أم أنهم يرضون بهذا ويحبونه؟؟

وإن سيد ولد آدم إمام الأولياء عليه الصلاة والسلام أصابه ما أصابه في أحد وكُسِرَت رباعيته الشريفة وكبار الصحابة والمبشرون بالجنة رضي الله عنهم أجمعين لم يظهر فيهم ما يدعيه أدعياء الولاية!! هدانا الله وإياهم للتي هي أقوم وهي طريق الله المستقيم الذي أوضحه لنا رسول الله ﷺ بقوله وفعله وتقريره.

الإستهزاء والسخرية بالدين
أو بالقرآن الكريم وأسماء الله وصفاته

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال في غزوة تبوك في مجلسٍ يوماً ما: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألْسِنَةٍ ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يارسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥][٣٩].

فحذار أخي المسلم من السخرية والاستهزاء بأي أمرٍ من أمور الدين ولو على سبيل المزاح، وكل مستهزىءٍ بأي أمرٍ من أمور الدين كالسواك أو اللحية أو الحجاب الشرعي أو تطبيق الحدود وغيرها مما جاء عن الله ورسوله وهو يعلم أنه من الدين أو يسب الله أو رسوله أو الدين فلا شك أنه يكفر بذلك.

واعلم أن من الاستهزاء بالله ورسوله عدم إحترام كتاب الله وآياته وأسمائه وصفاته أو أحاديث رسوله ﷺ أو رفض دلالتها أو إلقائها في القمامة أو الأكل علىٰ الجرائد والصحف المشتملة علىٰ بعض أسماء الله وصفاته، وكذا إلقاء كتب المدارس المحتوية على آيات الله وأحاديث عن

---

(٣٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره وابنُ أبي حاتم وقال الشيخ مقبل بن هادي: رجاله رجال الصحيح خلا هشام بن سعد فإنه روىٰ له مسلم مقروناً، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم.

رسوله ﷺ وهو يعلم أن فيها ذلك، نسأل الله العفو والعافية.

إستحلال المنكر والرضى بانتشاره

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٤٠).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من نبيٍ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فَمَنْ جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(٤١).

ولهذا فإن الرضىٰ بالمنكر وحب إنتشاره واستحلاله يُعَدُّ كفراً بالله رب العالمين، وإن زعم صاحبه أنه مسلم، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن مَنْ لم يوجد إنكارُ المنكر في قلبه ـ وهو أضعف الإيمان ـ فليس فيه من الإيمان حبة خردل. فكيف بمن يبارك بالمنكر ويحب انتشاره أو يسب دينه أو ربه أو رسوله أو جماعة المسلمين لإسلامها ويستهزىء بالمتمسكين بالسنة ويسخر منهم ويتهمهم بالرجعية أو يخشىٰ تطبيق الحدود حتى لا تغيب الفواحش والمنكرات التي يهواها. ولا شك أن هذا كله أو بعضه كفر صريح لا يتفوه به إلا فاقد الإيمان.

---

(٤٠) رواه مسلم وغيره.
(٤١) رواه أصحاب السنن وهو صحيح.

التمائم والحجب

عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت[٤٢].

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاَّم: كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً، وكذا قال ابنُ الجوزي وغيره.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك»[٤٣].

والرقىٰ: هي التي تسمىٰ «العزائم»، ولقد استثنت الأدلة الشرعية الرقىٰ المشروعة بكتاب الله، وبما أثر عن رسول الله ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «أعرضوا عَليَّ رقاكم، لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك»[٤٤] ولقد رقىٰ جبريلُ النبيَ ﷺ، ورقىٰ النبيُ ﷺ صحابته، ورقىٰ الصحابةُ بعضهم بعضاً وغير ذلك مما يدل علىٰ المشروعية.

والرقىٰ المشروعة هي ما كان بالقرآن الكريم وأسماء الله وصفاته وما ورد عن رسول الله ﷺ من الأدعية والمأثورات، وأما ما كان بغير لسان العربية وبكلام أو أرقام أو خطوط لا تعلم ولا تفهم فهو غير مشروع وقد تكون كفراً أو توقع في الكفر. وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: «أجمع العلماء جواز الرقىٰ بثلاثة شروط:

١ ـ أن تكون بكلام الله وبأسمائه وصفاته.

٢ ـ أن تكون باللسان العربي وبما يعرف معناه.

---

(٤٢) رواه البخاري وغيره.

(٤٣) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

(٤٤) رواه مسلم وأبو داود وغيرهم.

٣ ـ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالىٰ».

والتمائم: هي ما يعلق علىٰ الأولاد أو الدواب أو السيارات أو البيوت من خرز أزرق أو غيره أو عظم أو خيوط أو حذاء قديم أو حذوة فرس. وكل هذا باطل لاعتقاد أن هذه تدفع العين والبلاء، وتحفظ حاجة الإنسان وهذا توكل علىٰ غير الله وإخلالٌ بعبادة الإنسان لربه تعالىٰ.

وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت: كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم وكان عبدالله إذا دخل تنحنح وصَوَّت فدخل يوماً فلما سمعت صوته إحتجبت منه، فجاء فجلس إلىٰ جانبي فمسني فوجد مس خيط فقال: ما هذا؟ فقلت: رقىً لي فيه من الحمرة، فجذبه وقطعه فرمىٰ به وقال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقىٰ والتمائم والتِّولَة شرك». قلت: فإني خرجت يوماً فأبصرني فلان فدمعت عيني التي تليه فإذا أرقيتها سكنت دمعتها وإذا تركتها دمعت؟! قال: ذاك شيطان إذا أطعته تركك وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيراً لك وأجدر أن تنضحي في عينك الماء وتقولي أذهب الباس رب الناس، أشف أنت الشاف، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً»[٤٥].

وأما ما يُعلق علىٰ الأطفال وغيرهم من حجب بالقرآن الكريم والمأثور عن الرسول ﷺ ففيه خلاف بين أهل العلم والأولىٰ المنع لأن الرسول ﷺ لم يفرق بين ما كان بالقرآن وما كان بغيره بالنسبة للتمائم خلافاً للرقىٰ كما تقدم وكما أننا نلاحظ أن كثيراً مما يُكتب في تلك الحجب من كتاباتٍ غيرُ مفهوم ورموز وجداول وأرقام مما ليس بمشروع، فَسَدَّاً

---

(٤٥) رواه ابن ماجه وروىٰ بعضه إبنُ حبان والحاكم وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

للذريعة يجب المصير إلىٰ منع التعليق حتىٰ بما كان بالقرآن الكريم. ولنا في الرقىٰ كما فعل الرسول ﷺ كفاية وأسوة حسنة فنقرأ القرآن وما جاء عن الرسول ﷺ ونحوه علىٰ المريض أو المسحور أو المصاب بالعين وغير ذلك. وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

والتِّولَة: هي ضرب من ضروب السحر كانوا يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها وهذا يصد الناس عن دين الله وعن توكلهم علىٰ الله في دفع الضر كما مضىٰ في الدعاء والاستغاثة بغير الله.

وكذلك من الإعتقادات الباطلة التعلق بقبور الأنبياء والأولياء والتمسح بها وربط الخرق عليها وكتابة الرسائل لمن فيها، وكل هذا لا يخلو من إعتقادات شركية بالله رب العالمين، فاحذره أيها المسلم واتبع كتاب ربك وسنة نبيك تكن من الفائزين وإلا كان عملك هباءً منثوراً والله يقول: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

والله أسأل لي ولكافة المسلمين الثبات علىٰ دينه والموت علىٰ عقيدة سلف الأمة ـ خير القرون المشهود لهم بالخيرية من سيد ولد آدم ﷺ ـ إنه سميع مجيب. وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه
عاصم بن عبدالله القريوتي
١٥ من رمضان ١٤٠٤هـ

مطابع الدوحة الحديثة

مطابع الدوحة الحديثة